# المرأة الطائعة لزوجها

إن المرأة التى أطاعت ربها فيما فرض عليها من أوامر وفيما نـهاها عنـه مـن معاصى فهى حتما ستطيع زوجها ..قرينها ..شريك حياتـها ..لباسـها السـاتر ..ورفيق عمرها ..وأب أبنائها ..لذا يجب على المرأة المسـلمة أن تطيـع زوجـها سراً وعلانية، حتى تكون قد قـامت بمـا يقتضيـه عـهد الـزواج ..”لأن الطاعـة مجلبة للهناء والرضاء .. والمخالفة للزوج تولد الشحناء والبغضاء وتوجب النفـور وتفسد عواطف الإخاء وتنشئ القسوة فى قلوب الآباء..

ما من مرة نبذت امـرأة طاعـة زوجـها إلا حـلَّ بـها الشـقاء ولحقـها البـلاء ..وكلما زادت طاعة الزوجة لزوجها ازداد الحب والولاء بينهما وتوارثه أبناؤهما ..لأن الأخلاق المألوفة إذا تمكنت صارت ملكـات موروثـة يأخذهـا البنـون عـن آبائهم والبنات عن أمهاتهم”[1].

وقد حثت التوراة نساء اليـهود علـى طاعـة الـزوج إرضـاء للـرب فجـاء فـى الأحكام العبرية: ”متى خرجت الزوجة من بيت أهلها ودخلـت بيـت زوجـها صار له عليها حق الطاعة التامة والامتثال الكامل ..فعليها ألا تخالفه مما يطلبه منها ..بل تذعن له كما تذعن الجارية لسيدها”..

وفى المسيحية الإصحاح الخامس من رسالة بولس الرسول إلى أهـل أفسـس: ”أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل هـو رأس المـرأة ..كمـا أن المسيح هو رأس الكنيسة”.

ويقول بطرس الرسول فى رسالته الإصحاح الثالث ”كذلكن أيتها النسـاء كـن خاضعات لرجالكن كما للرب”.

---

[1] من كتاب المرأة فى التصور الإسلامى للأستاذ عبد المتعال الجبرى

وإذا كان الزوج هو رب الأسرة وولى أمرها ..وجب حينئذ على الرعية الامتثال للراعى ولولى الأمر انطلاقا من قوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ (١)

وفى الإسلام يحث رسول الله ﷺ الزوجات المسلمات على طاعة أزواجهن مبينا أنه فى إرضاء الزوج إرضاء لله ..وفى طاعته طاعة لله ما لم يأمر بمعصية أو شرك فيقول: (**ثلاثة لا تمسهم النار ..المرأة المطيعة لزوجها ..والولد البار بوالديه ..والعبد القاضى حق الله وحق مولاه**).

وقال عليه الصلاة والسلام: (**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها**)(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: وعندما سأل النساء رسول اللهﷺ عما يعدل جهاد النساء من أعمالهن، قال: "**طاعة أزواجهن، والمعرفة بحقوقهن، وقليل منكن من يفعله**"(٣)..

وأتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فسألها " أذات زوج أنت .. قالت: نعم قال: فأين أنت منه ؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه .. قال: فكيف أنت له .. فإنه جنتك ونارك" (رواه أحمد والنسائى).

وسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ يوما: أى الناس أعظم حقا على المرأة؟ ..قال: "زوجها" ..قالت: فأى الناس أعظم حقا على الرجل؟ ..قال: أمه.

---

(١) النساء / ٥٩

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه

(٣) رواه الطبرانى

**وقال** رسول الله ﷺ : **(اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبد آبق من واليه، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع)** رواه الحاكم ..

هنا نجد الإشارة الكريمة أن المرأة حين تصلى وهى تعصى زوجها لن يقبل الله صلاتها حتى تطيعه.

وقال: **(إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت)** (ابن حبان).

**وروى** أن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضى الله عنهما أتت النبى ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: يا رسول الله إنى وافدة النساء إليك، إن الله بعثك بالحق للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك وإنا – معشر النساء – محصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم، وانتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمعُ، والجماعات، وعيادة المرضى، وشهادة الجنائز، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى، وأن الرجل إذا خرج حاجا أو مرابطا، أو معتمراً، حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم فى هذا الخير والأجر يا رسول الله؟ ..فالتفت ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ثم قال: "هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذه عن أمر دينها" ..فقالوا: يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدى إلى مثل هذا ..فالتفت إليها رسول الله ﷺ ثم قال "انصرفى أيتها المرأة، واعلمى من خلفك من النساء أن طاعة الزوج –اعترافاً بحقه– يعدل ذلك وقليل منكن من يفعله". (أخرجه البزار والطبرانى).

الزواج مؤسسة اجتماعية ..شركة بين اثنين توجب على مؤسسيها شروطاً ينبغى الوفاء بها ..ولكل منهما حقوق يحق له أن يطالب بها.

ما أعظم جيل الرائدات المسلمات فى عهد النبوة الكريم ..الواحدة منهن تسأل عن واجبات الزوجة قبل أن تسأل عن حقوقها لتنظر هل هى قادرة على القيام بأعباء الزوج أم لا؟

إن الزواج عقد، بل هو من أوثق العقود لذا وجب الوفاء به..

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[1] ..وقال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2] ..ويلاحظ أن رسول الله ﷺ لم يعترض على موقف الرافضات ..بل أجازه لأنه لا يجوز شرعاً تكليف القاصرة بتحمل المسئولية أيا كانت مادية أو معنوية رحمة بها وبضعفها وبالمجتمع الذى تنتمى إليه ..وكم من قضايا اجتماعية ومهازل أسرية وأبناء ضحايا لأم قاصرة فكريا لم تعلم من قبل ما هى مسئولياتها؟ ..وما هى حقوقها أو واجباتها تجاه زوجها وأولادها؟ وهنا سنلقى الضوء على بعض منها حتى تعلم الحاضرة منهن الغائبة ..وتخبر المتعلمة منهن الجاهلة ..وتفهم الناضجة منهن القاصرة..

**جاءت** امرأة إلى رسول الله ﷺ قالت: أنا فلانة بنت فلان ..قال: "قد عرفتك ما حاجتك؟" ..قالت: حاجتى إلى ابن عمى فلان العابد ..قال: "قد عرفته" ..قالت: يخطبنى فأخبرنى ما حق الزوج على الزوجة، فإن كان شيئا أطيقه تزوجته ..قال: "من حقه لو سال منخاره دمًا وقيحًا فلحسته بلسانك ما أديت حقه، ولو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فضله الله عليها ..قالت: والذى بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت الدنيا) رواه البزار والحاكم.

---

[1] سورة المائدة آية ١

[2] سورة النحل ٩١

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من خثعم أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أخبرنى ما حق الزوج على زوجته؟ فإنى امرأة أيم فان استطعت وإلا جلست أيمًا ..قال: " **فإن حق الزوج على زوجته إن سألها نفسها وهى على ظهر قتب أن لا تمنعه نفسها، ومن حق الزوج على الزوجة أن لا تصوم طوعًا إلا بإذنه، فإنْ فعلت جاعت وعطشت ولا يقبل منها، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع ..قالت: لا جرم لا أتزوج أبدًا**) رواه الطبرانى.

من هذين الحديثين الشريفين يتضح لنا إلى أى مدى اهتم رسول الله ﷺ بتبيان حق الأزواج على الزوجات، حتى تحسن المرأة المسلمة أداء واجبها دون تكاسل أو تخاذل ..ففى الحديث الأول بين الهادى البشير صلوات الله عليه أن عليها ألا تتأفف من زوجها مهما كانت حالته الصحية، فلو مرض وسال الدم والقيح منه كانت هى بمثابة البلسم الشافى، والضمادة له ولو اضطرت لإخراج لسانها تمسح به نزيف جراحه، وهذه كناية عن مدى الرعاية والاهتمام والعطاء للزوج من قبل الزوجة ..ولو كان الرسول الكريم ﷺ آمر أحدا أن يسجد لأحد غير الله سجدة شكر وعرفان للجميل –لأمر المرأة أن تسجد لزوجها لما له من حقوق عليها .. فاستكثرت المرأة الأولى، واستعظمت تلك الواجبات التى ستلقى على أكتافها وهى غير مهيأة نفسيًا لأدائها، فرفضت الزواج ولم يمنعها رسول الله ﷺ عن ذلك لأنه ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَت**﴾[1] ..

وفى الحديث الثانى بين رسول الله ﷺ للخثعمية أن من حقوق الزوج:

١- عدم رفض الزوجة رغبة زوجها فى الجماع حتى وإنْ رغبها على ظهر جمل أو بعير، كناية عن أنه لا يحق لها الرفض أبدًا مهما كان الزمان والمكان، ما لم يكن هناك مانع شرعى، من حيض أو نفاس أو غير ذلك.

---

[1] سورة البقرة آية ٢٨٦

٢- لا يحق للمرأة المسلمة أن تصوم نفلاً أو تطوعًا إلا بعد استئذان زوجها، لأنه ربما رغبها زوجها فلا يحق لها أن تمانع، فإن أصرت أن تكمل الصوم لم يكن لها جزاء إلا الجوع والعطش.

٣- ألا تغادر بيت الزوجية إلا بإذنه وموافقته، فإنْ خرجت رغم إرادته فإن الملائكة الأبرار يغضبون منها ويلعنونها حتى ترجع إلى بيتها وإلى طاعة زوجها ..فنظرت المرأة فيما أقرّه الإسلام للرجل من حقوق على زوجته ووجدت نفسها لا تقدر أن تفى بهذا الالتزام فرفضت الزواج ولم يمنعها رسول الله ﷺ عن ذلك.

المرأة الطائعة لزوجها تؤثر هواه على هواها ..ورضاه على رضاها فيم أحبت أو كرهت.

**وها** هى امرأة لم تذق طعم الحرمان يوما ..ولم يقرع بابها فزع الحاجة ..لم ترتدِ ثوبًا مرقعًا فى حياتها ..ولم تنم ليلة وبطنها تتلوى من الجوع ..كان كل ما تتمناه رهن إشارة ..هى تجرى وتلعب ..تغدو وتروح على أجنحة النعيم ..اسمها فاطمة، أبوها خليفة وأخوها خليفة ..وجدّها خليفة، وزوجها خليفة ..ولكن زوجها الخليفة عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، آثر أن يكون قدوة للمساكين والفقراء كما هو قدوة للأمراء والأغنياء. فاختار أن يكون قصره الجديد بيتًا متواضعًا من بيوت المسلمين الفقراء ..أثاثه كأثاثهم ..وثوبه كثيابهم وطعامه كطعامهم ..وبابه كأبوابهم ، ليس عليه حارس يحرسه إلا الله ..اختار موقع قصر الخلافة الجديد ليكون هو ذلك البيت القديم فى بنائه الفقير ..ومضى إلى زوجته وأحضر لها كل حليها وجواهرها الثمينة، وثوب زفافها الغالى الثمن المزين والمزركش باللآلئ والمجوهرات الكريمة..ووضعها فى جانب وجلس فى الجانب الآخر، وقال لامرأته بحب وهدوء وحكمة: يا زوجتى أعرض عليك أمرًا لك الخيار فيه ..هذه حليك وثيابك وثوب زفافك فى جانب، وها أنا فى جانب آخر، ما عدت أميرًا يسكن قصرًا كما كنت، ولكنى غدوت خليفة وحاكمًا يسكن بيتًا متواضعًا فحسب، فإن أردت أنْ تظلى فى قصرك مع ممتلكاتك فلتبق، وإنْ أردتنى أنا فقط بمسكنى الجديد وعيشتى الجديدة

المتواضعة، فمرحبًا بك، ولا تتعجلى الجواب، وفكرى وأشيرى على أهلك ..فبكت المرأة المؤمنة الطائعة لربها ولزوجها فى آن واحد ..وقالت: والله لا أؤثر عليك أحدًا حتى ولو وضع مال الدنيا كلها بين يدى ..وعاشت فاطمة الأميرة وزوجة الخليفة وسليلة الخلفاء فى بيت متواضع ..وصارت تعجن وتخبز بيديها الناعمتين ..وترتدى ثوبًا متواضعًا من ثياب الفقراء ..وحين مات زوجها وكانت أموالها ومدخراتها فى خزانة خاصة بها، أحضرها أخوها لها وقال: ها هى ممتلكاتك وثيابك الثمينة فخذيها وارتديها ..فبكت مرة أخرى بكاء مريرًا وقالت: والله لقد أطعته حيًا وارتديت ما يحبه فلن أعصيه ميتًا !!.

**المرأة الطائعة لزوجها** دومًا تسأل نفسها عن الضوابط والحدود التى ينبغى ألا تتجاوزها حتى لا تغدو عاصية لزوجها ..وهى لديها من العقل والحنكة ما يكفيها أن تسأل مرة واحدة عما يحبه زوجها فتتبعه، وما يبغضه زوجها فتتجنبه ..وبذلك تسدل الستار على أى خلاف قد ينشأ مستقبلاً ..وتغلق الباب أمام ريح عاتية قادمة من منطقة اللاوفاق ..والأحرى بكل النساء الراغبات فى أن يكن مطيعات أن ينصتن إلى زينب بنت جرير التى مكثت مع زوجها شريح عشرين عامًا دون أن يعتب عليها زوجها مرة واحدة، كما أقر واعترف إلا مرة واحدة، كان هو ظالمًا لها !!

فى ليلة زفاف زينب وشريح القاضى ..وقف الزوج يصلى ركعتى سنة كما علمنا رسول الله ﷺ وما كاد أن ينتهى من صلاته حتى وجد أن زوجته هى الأخرى كانت تصلى خلفه ..ودعا شريح ربه قائلاً: اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه ..وقالت هى الأخرى مثل ما قال ..وأراد شريح أن يدنو من زوجته فمد يده إلى ناصيتها فقالت له: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت ..ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله، إنى امرأة غريبة، لا علم لى بأخلاقك،فبين لى ما تحب فأتيه وما تكره فأبتعد عنه ..وقالت: إنه قد كان لك فى قومك منكح ( أى مجال للزواج) وفى قومى مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان

مفعولا، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أقول هذا واستغفر الله لى ولك.

**يا الله** ..يا لها من كلمات صادقة قوية حكيمة تبدأ بها امرأة حياتها الزوجية، لتشيدها على أسس سليمة متينة، فإما المعاشرة بالمعروف أو تسريح بإحسان ..فأدهشت زوجها واضطرته أن يجيبها بخطبة فى يوم زفافه يشرح فيها موقفه منها ..فكان مما قال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى وأسلم على النبى وآله وبعد، فقد قلت كلامًا إن تثبتى عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وأكره كذا، نحن سواء فلا تفرقى، وما رأيت حسنة فأنشريها أو سيئة فاستريها ..فقالت: وكيف محبتك لزيارة الأهل؟

..**قال** شريح: ما أحب أن يملنى أصهارى (أى لا يحب كثرة الزيارات) ..قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك وآذن له ومن تكرهه أكرهه؟ ..قال شريح: بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء ..ومكثت زينب مع شريح عامًا كاملاً لم ير منها إلا ما يحب أن يراه، وفى نهاية العام عاد إلى بيته ليجد عجوزًا تأمر وتنهى فى بيته فقال شريح: من هذه ..قالوا فلانة ختنك (حماتك) فسرى عنه ما كان يجد، فلما جلس شريح أقبلت العجوز عليه وقالت: السلام عليك يا أبا أمية .. فقال لها: وعليك السلام من أنت؟ ..قالت: أنا فلانة ختنك (أى حماتك) ..قال: قربك الله .. قالت: كيف رأيت زوجتك؟ ..قال: خير زوجة ..فقالت: يا أبا أمية إنّ المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها فى حالتين إذا ولدت غلامًا أو حظيت عند زوجها، فإن رابك ريب فعليك بالسوط (أى اضرب زوجتك بالسوط) فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شرًا من المرأة المدللة، قال شريح: أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب، وروضت فأحسنت الرياضة، قالت: متى تحب أن يزورك أختانك (أى أقارب زوجتك)؟ قال: متى شاءوا؟ ويكمل شريح قصته المثيرة الرائعة مع زوجته وحماته فيختمها بقوله: وكانت العجوز تأتينى فى رأس كل حول توصينى تلك

الوصية، وكنت من أسعد الأزواج، ولم أعتب على زوجتى إلا مرة واحدة طيلة عشرين عامًا كنت لها ظالمًا !!.

إن المرأة الطائعة لزوجها لهى قرة عين له ..وكنزه النفيس الذى يعتز به دوما ..رفيق فى رحلة الحياة وألطف أنيس يبدد به وحدته وغربته ..هى رقيقة كنسيم الصباح ونقية كالألماس ..وصافية كزرقة السماء ..كلماتها وبسمتها وأفعالها كالربيع تتفتح أمامها البراعم والورود وتخضر الأوراق اليابسة وتثمر الأشجار فى واحة قلب الزوج الذى تعتصره الأحداث وتؤرقه النوائب ..ولأنها قوية وراسخة كالجبال أمام رياح الحياة ..صلبة لا تلين ..لينة لا تنكسر ..تصبر على نصيبها وتشكر دومًا ربها وزوجها ..وترضى بقدرها ..فليس لها ثواب إلا رضاء الله عنها فى الدنيا ورضاء زوجها ..ودخولها الجنة فى الآخرة.

**جاء فى الصحيحين**، يقول أنس بن مالك رضى الله عنه: مات ابن لأبى طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه، قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، قال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها. قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أنّ قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوا؟. قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب، وقال: تركتنى حتى تلطخت ثم أخبرتنى بابنى، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: بارك الله لكما فى غابر ليلتكما، قال: فحملت. وقال سفيان بن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن، يعنى من أولاد عبد الله الذى ولد من جماع تلك الليلة التى مات فيها ولده ..وفى رواية أخرى قال: فحملت بابن له فسماه رسول الله ﷺ عبد الله.